

ملف ٢

نوبل ٢٠١١

توماس ترانسترومر

روبرت هاوبتمن

سيرة موجزة

تعود شهرة توماس ترانسترومر، في الأساس، إلى شعره. وفي كتابين هما «أيتها الذكريات انظري إليّ: مذكرات» (١٩٩٣)، و«من أجل الأحياء والموتى: قصائد جديدة ومذكرات» (١٩٩٥) ما يدل القارئ على نظرة الشاعر إلى عمله، كما نُشر في العام ٢٠٠١ كتاب مراسلات بينه وبين روبرت بلاي بعنوان «بريد جوي: بريف، ١٩٦٤-١٩٩٠».

ولأن ترانسترومر شاعر صور قبل كل شيء - تلك الخاصية في الشعر التي يمكن نقلها من لغة إلى أخرى دون خسارة تُذكر - فهو أكثر الشعراء المعاصرين في البلدان الاسكندنافية الذين تُرجمت أعمالهم إلى لغات أخرى، وقد حضر شعره بقوة في الخارج، كما في بلده السويد. كما حظي بالتكريم من خلال العديد من الجوائز. جائزة بيلمان (١٩٦٦) الجائزة السويدية في ملتقى الشعر العالمي (١٩٧١) وجائزة بترارك (١٩٨١)، كما حصل على منحة مدى الحياة من الحكومة السويدية.

في العام ١٩٨٢ التحق ترانسترومر بلجنة الكتاب المقدس السويدية للعمل على ترجمة للمزامير. وفي العام ١٩٨٣ نال جائزة بونير للشعر، وجائزة بايلوت في العام ١٩٨٨، وجائزة مجلس بلدان الشمال في العام ١٩٩٠، وعلى جائزة نيوشات

الأدبية المرموقة، والتي تعتبر الدرجة الأخيرة قبل جائزة نوبل، وحصل في العام ١٩٩٢ على جائزة هورست بينيك، وفي العام ١٩٩٨ على جائزة جان سميريك. وفي العام ٢٠٠٧ نال جائزة التقدير عن مجمل أعماله من صندوق غريفيين للمبدعين في الشعر.

ولد توماس ترانسترومر في نيسان (أبريل) ١٩٣١ في ستوكهولم. كان جده على غرار أسلاف آخرين ربّان سفينة، وعمل أبوه في الصحافة. في طفولته انفصل أبواه، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً توثقت علاقته بأمه، التي أصابته وفاتها بعد سنوات بلطمة قاسية. عمل ما بين العامين ١٩٦٠ و١٩٦٥ أخصائياً نفسياً في سجن ركستونا للأحداث، وانتقل في العام ١٩٦٧ إلى فاستيراس حيث عمل حتى العام ١٩٩٠ مع أصحاب الاحتياجات الخاصة. وقد أتيح له نتيجة ذلك العمل تكريس وقت أطول لزوجته وابنتيه، وعزف البيانو، وتكريس وقت أطول للكتابة.

أصيب بجلطة في العام ١٩٩٠، ورغم أنه بقي صامتاً لسنوات إلا أنه استمر في كتابة ونشر الشعر وفي الظهور في مناسبات عامة. في مطلع العقد السادس من عمره نشر ترانسترومر مذكرات عن سنوات الطفولة والمراهقة، ومن خلالها يتعرّف المرء على تجاربه العائلية والأحداث التي كوّنته، وعلى اهتمامه بعلم الحشرات والتاريخ الطبيعي والحرب، وعلى القلق البالغ الذي طغى عليه لفترة من الوقت، وكذلك على مدى تأثره بالمتاحف والمكتبات.

تحليل

اتسم تطوّر توماس ترانسترومر كشاعر بوضوح مدهش للهدف. كتابه الأوّل الصغير ١٧ قصيدة نال الاعتراف في السويد كبداية لموهبة كبيرة، ورسم المسار الذي اتخذته حياته في ما بعد. بمجرد نشره لمجموعة لا تضم أكثر من ١٧ قصيدة، لا توجد بينها قصيد واحدة طويلة، وقّع ترانسترومر عقداً مع القراء، وما يزال العقد ساري المفعول. وقد استمر في نشر دواوين نحيلة تضم قصائد يتجلى في كل منها كل ما يملك إبداعه فيها من قوّة ورعاية. أظهر القليل من الشعراء المعاصرين هذا القدر من التواضع والثقة المطلقة في أنفسهم وفي أداتهم التعبيرية. أعماله الشعرية المبعثرة قد

توحي بشاعر محب للانطواء وخلق منتجات لفظية مصطنعة. وليس ثمة ما هو أبعد من شيء كهذا. فالقصيدة لدى ترانسترومر وسيلة للرؤيا وأداة للاتصال. قصائدي أماكن لقاء. هدفها إنشاء علاقة مباحثة بين جوانب الواقع تبيحها اللغات والنظرات المألوفة بعيدة. تفاصيل كبيرة وصغيرة للمشهد الطبيعي تلتقي، ثقافات مقسّمة وأفراد يتدفقون معاً في عمل من أعمال الفن، الطبيعة تلتقي الصناعة. الخ. ما يبدو للوهلة الأولى مجابهة يصبح صلة. وليس ثمة ما هو أفضل من تعريف ما يريده ترانسترومر بهذه الطريقة. قصائده «أماكن لقاء» بالفعل لمستويات مختلفة من الواقع، تحضر مجتمعة في صور مذهلة تمثل العلامة الفارقة في حرفته.

يمكن العثور على وصف دقيق للتطور الذي عاشه ترانسترومر في كتبه. مجموعة ١٧ قصيدة تتكون من قطع غنائية موجزة تصوّر تجليات الطبيعة المحلية. وتقدم صوراً متعددة ومعقدة، ومجازات وتشبيهات، نقطة ارتكاز شعرية قوية.

وفي ديوانيه الثاني والثالث «أسرار على الطريق»، و«سماء نصف كاملة» يواصل ترانسترومر مديحه الغنائي للطبيعة لكنه يوسع المدى بمنظور عالمي، وهنا يجد المرء بعض السرد الشعري، ومقطوعات عن الموسيقى، والأحلام، وموضوعات أخرى. قصائد تلغرافية وصورية (مليئة بالصور) بسيطة لكنها ذات رسائل معقدة. في «طرق ورنين» و«رؤية ليلية» يوظف ترانسترومر طريقتيه في التنقل بين الموضوعات بطريقة بارعة. هذان الكتابان يضمّان عدداً أقل من قصائد الطبيعة، ويركزان أكثر على البوح الشخصي المراد منه القيام بدور المطهر الداخلي. أما كتاب «ستيغار»، الذي يضم إلى جانب قصائده ترجمات قام بها لأعمال بلاي والشاعر الهنغاري يانوس بليينزسكي فيعتبر امتداداً لهما السابقة، بما فيها الطبيعة، والإبداع، وحتى بعض الموضوعات السياسية البارعة. وفي «البلطيق» حيث السطور الشعرية طويلة وعادية، والموضوعات مستمدة من تاريخ عائلة الشاعر، نعثر على شيء جديد تماماً. وفي «عوائق الحقيقة» يتم الدمج بين القصيدة الغنائية والنثرية، والعديد من الموضوعات التي تحظى باهتمامه، والتي بقيت على حالها على مدار ثلاثة عقود تقريباً - خاصة التقدير الصوفي، شبه الديني، للحقيقة والكون الذي كان له الأثر

الأكبر في شعره .

يجد المرء في قصائد ترانسترومر تنوعاً في الاهتمامات والأشكال والوسائل . غالباً ما يكون شعره نافذ البصيرة، يتسم بالغنى المدهش في الأخيلة والمجازات، ولكن يمكن أن يكون عادياً وبطيئاً ولا يثير الاهتمام .

في زمن الإسهاب المفرط يتميز ترانسترومر بالإيجاز، مُذكراً بقصائد سالفاتور كواسيمودو الغنائية . ونادراً ما يُبقى هذا القدر من الإحكام صاحبه مغموراً، ورغم أن شعره قد يكون ملتوياً أحياناً إلا أنه لا يكون مُبهماً . وكأحد أفضل شعراء جيله استمر ترانسترومر في التطور، ليبرهن عمله اللاحق على منجزاته الأولى . وفي هذا الصدد يلاحظ بلاي أن شعره الذي يتسم «بالصمت والعمق» أثر على الكثير من الشعراء الأميركيين .

قصيدة ترانسترومر في الغالب قصيرة، غنائية، تلغرافية، وتعتمد على الصورة إلى حد كبير، فيها ما يحيل إلى سيرته الذاتية، الموضوعات المتكررة لديه تشمل المشاكل الفلسفية، الموسيقى، الأحلام، الصحيان، العقبات، الحدود، والطبيعة بشكل خاص . ومع ذلك، إذا كان شعره متأثراً بالطبيعة - نوارس سود الظهر ونمل وغابات وجبال ومياه وعواصف - إلا أن الشاعر يتجاوز مخياله الطبيعي في رحلة متواصلة لاستكشاف الذات . وفي هذا الجانب يختلف جذريا عن العديد من سابقيه في البلدان الاسكندنافية . أخيلة ترانسترومر الوصفية غالبا ما تكون مجرد مفتاح يفهم المتكلم من خلاله وضعه الخاص .

في «تأمل مضطرب» (من ١٧ قصيدة) يصف تأثير عاصفة «وبطن سمكة قرش رمادية» الأمر الذي يقودنا بالمنطق إلى قاع المحيط، ثم يلي ذلك طحالب تحوّلت إلى قشور، ولكن القصيدة تنتهي بدقة ميتافيزيقية «من يضل به السبيل إلى البحر يعود متحجراً» .

ترجمة بتصرف عن :

CRITICAL SURVEY OF POETRY

European Poets (Fourth Edition)

Salem Press, California 2011